دور سكّان طرابلس الغـــرب في المحافظـــــة على الثقافـــــة العربيـــة في ظـــل الإجـــراءات العثمانيـــــة خـــــلال القرن التاســـع عشـــر

د . أحميدة ســـــالم حمّاد ـ كلية الآداب ـــ جامـــعة طـــبرق

ملخـــص :

عانت طرابلس الغرب من الفوضى السياسية التي نتـــج عنها سوء في الأوضاع الاقتصادية ، حيث ساد بين الأهالي البؤس في سنوات القحط والجفاف، هذا الوضع أثّـــــر على الناحية الثقافية للولاية بمختلف بيئاتها ، فانتشر الجهل والتخلف والتعلق بالأوهام والابتعاد عن التحليل العلمي لبعض الظواهـــــــر، وربطها دائماً بالغيبيات والقوى الخفيـــــــــة ، وكان لهذه المعتقدات دور في عدم قدرة الأهالي على التّطور ومواكبة التغيرات التي تحدث على الســـاحة العالمية، وأعاق دورهم الســـياســـي والاجتماعي والثقافي.

ووصـــل الضـــعف الفكري والثقافي في القرن التاســـع عشـــر حداً لفت له أنظار الحكام والرعية على حدّ سواء، فلا نعجب من ولاية أُهمل فيها التعليم أن تتفشى فيها الأمية بشكل كبير، فقد ذكر الحشائشي في رحلته - مع أنه كان قاسياً إلى حد ما في تصـــوير ذلك إلا أننا نقول : إنه جانب الحقيقة بعض الشـــيء - عندما قال: أما العلوم والمعرفة العصرية فلا توجد عندهم ؛ بل لا يشتمون لها رائحة ، وقد تقلص دور اللغة العربية في الولاية بسبب انتشار تعلم اللغات الأخـــــــرى مثل : اللغة التركية واللغة الايطالية بين الأهالي والتي انتشـرت بين الجاليات الأجنبية بوصـفها لغة الحضـارة والتقدم، فكادت أن تصـــبح اللغة الثانية في الولاية، فكان معظم الأهالي يخالطون الجالية الايطالية ويتكلمون لغتهم.

إن المجتمع في تلك المرحلة كان معظمه مجتمعاً بدوياً بطبيعة الحال ، وللبداوة تأثيرها في سير أحداثه، ووسائل وظـــــروف وطرائق العيش، وتطوره الثقافي ، فقد عاش أهالي طرابلس حياتهم اليومية التي اسـتمدوها من تراثهم التقليدي ، شـــأنهم في ذلك شـــأن كل المجتمعات التي تمثل تقاليدهم وعاداتهم من احتفالاتهم بأفراحهم ومناســـباتهم الرســـمية والدينية وإرثهم الثقافي، والذي اختلف من منطقة إلى أخرى باختلاف مورثاته، واختلاف نمط الحياة التي عاشـــها والعادات الدخيلة الحســـنة منها والذميمة.

لم تكن الثقافة بالمعنى الدقيق لهذا المصطلح معروفة بطرابلس في العهد العثماني الثاني ، إذ أن السياسة العثمانية لم تشجع الولايات التابعة لها، ومنها طرابلس على الاتصال بالنهضة الحديثة التي شملت معظم نواحي الحياة في الدول الأوروبية، وبالتالي بقيت الثقافة كما هي عليها منحصرة في اللغة العربية والدين الإسلامي

المقدمة :

الثقافة اليوم اتسع معناها فأخذت مجموعة النشاطات والمشروعات والقيم المشتركة التي تكوّن الأساس للرغبة في الحياة المشتركة لدى أمة من الأمم والتي ينبثق منها تراث مشترك من الصّلات المادية والروحية الذي يغتني عبر الزمن ويغدو الذاكرة الفردية والجماعية التي على أساسها مشاعر الانتماء والتضامن والمصير الواحد.

وتعرف الثقافة بأنها : أسلوب حياة، وعلى الرغم من إيجازه الشديد فإن هذا التعريف يعني أن الثقافة هي : مركب معقد لمزيج متفاعل يضم فنون المجتمع ومعتقداته ، وعاداته ، ومؤسساته ، وقوانينه ، وأعرافه ، وإبداعاته وأساطيره ، وفلكلوره ، وخرافاته ، ولغاته، وقيمه المختلفة .

أهمية الموضوع:

الهوية الثقافية كيان يسير ويتطور ، إما في اتجاه الانكماش والجمود أو في اتجاه الانتشار، وهي تعتني بتجارب أهلها ومعاناتهم، وانتصاراتهم ، وتطلعاتهم، و- أيضا- باحتكاكهم سلبا أو إيجابا مع الهويات الثقافية الأخرى التي تدخل معها في تغاير من نوع ما ، ولقد حرصت شعوب العالم منذ بداية البشرية حتى هذا اليوم على المحافظة على تميزها وتفردها اجتماعياً ، وقومياً، وثقافياً ، لذلك اهتمت بأن يكون لها هوية تساعد في الإعلاء من شأن الأفراد في المجتمعات ، وأسهم وجود الهوية في زيادة الوعي بالذات الثقافية والاجتماعية ، مما أسهم في تميّز الشعوب عن بعضهم بعضاً، فالهوية جزءٌ لا يتجزأ من نشأة الأفراد منذ ولادتهم حتى رحيلهم عن الحياة؛ لأن الهوية تضيف للفرد الخصوصية والذاتية، كما أنها تعتبر الصورة التي تعكس ثقافته، ولغته، وعقيدته، وحضارته، وتاريخه ، و- أيضاً - تُسهم في بناءِ جسور من التواصل بين الأفراد كافة ، سواء داخل مجتمعاتهم، أم مع المجتمعات المختلفة عنهم اختلافاً جزئياً معتمداً على اختلاف اللغة أو الثقافة أو الفكر أو اختلافاً كلياً في المجالات كافة دون استثناء.

مشكلة البحث :

تنـــــــوع نخب سكان ولاية طرابلس الغرب ما بين أغلبية محافظة وأقلية مجددة متنورة، وطبيعة المناخ الفكري في القرن التاسـع عشـر تغليب الفكر الصـوفي إلى الحد الذي أصـبح فيه سـمة العصـر، وخلف هذا الفكر أوضـاعا فكرية واجتماعية وسـياسـية متضـامنة بالانتماء ، فلا تتقبل ما يخالفها ولا تسمح بالانتشار لغيرها من الأوضاع التي لا تنتمي إلى جنســها ووجه الســبب في هذه النقطة هو أن عملية تفكيك تلك البنية الفكرية الجامدة لم تكن سـهلة بالنسـبة للتيار التحديثي، ولم تكن عملية وضـع بنية جديدة بديلة عن الأولى بالممكنة. ومن خلال هذا الصراع والتجاذب استطاع الفكر التنويري خـــــــلال القرن التاسع عشر إحداث ثغرات وفرض تنوع ثقافي محدود.

وأول مظهر من مظاهر الحياة الفكرية ، التعليم ، الذي هو نبض الحياة الفكرية ومكوِّنها الأول، ولقد اتضح أنه كان له تقاليده وطرائقه ومؤسساته المتشابهة في كل الولايات العثمانية والتي من ضمنها ولاية طرابلس ، بل كانت لا تختلف في الواقع عما كانت عليه في أراضي الدولة العثمانية نفسها.

ولكي يتســنى لنا ذلك فإننا في أمس الحاجة لمعرفة هذا النموذج لندرك متطلبات مجتمعنا ولا نلجأ إلى ثقافات تغنينا عن ثقافتنا العربية الإسلامية .

أهـــــــداف الدراســـــــة :

تهدف هذه الدراســـة إلى :

1- إعطاء إطلالة سـريعة لواقع الوضـع الثقافي في المجتمع الليبي في ظل التغيرات التي شهدتها ولاية طرابلـــس.

2- التركيز على الجمعيات الأهلية وبعض مثقفي الولاية ، والدور الذي لُعب في المحافظة على الهوية الثقافية للمجتمع الطرابلسي.

منهجـــــــية الدّراســـــــة :

ولقد انتهجـت في هذا البحثُ السبل الآتيـــة :

1- التعريف بالإجراءات التعليمية العثمانية في الولاية وموقف السكان منها.
2- المناســبات الدينية والاجتماعية والرســمية وتدخلات الســلطات العثمانية فيها وموقف السكان من تلك التدخلات.
3- دور الجمعيات الأهلية ومثقفي الولاية من الإجراءات العثمانية للتأثير على الثقافة العربية.

4- مطابع الصحف ومدى استفاد السكان منها للوقوف على ذات الإجراءات العثمانية في الولاية.

مصادر الدراسة :

اعتمدت هذه الدراسة على عدد من الوثائق والمصادر والمراجع، وعلى عدد من الصحف التي صدرت بالولاية في تلك الفترة منها صحيفة طرابلس الغرب وصحف أخرى صدرت بعد فترة الدراسة وهي صحف الترقي ، والعصر الجديد والمرصاد، والكشاف ، والتي لم يتسن لي الاطلاع عليها مباشرة ، غير أنني استفدت من بعض المقالات في مجموع كتب عن تاريخ الولاية في هذه الفترة.

المطلب الأول ــ التعليم بالولاية وموقف السكان منه :

اعتمدت السلطات العثمانية من الناحية التعليمية على مدارس عثمانية ، يدرس فيها باللغتين العربية والتركية كما يدرس فيها الفقه ، والتاريخ العثماني ، والحساب والجغرافيا، والخط [1]، وقد طُبق في هذه المدارس التنظيمات التي وضعتها وزارة المعارف العثمانية ، والتي تقضي بتحديد سن الأطفال المقبولين بها ما بين سبع إلى إحدى عشرة سنة ، وتخصيص مدارس للذكور وأخرى للإناث، ومنح المتفوقين شهادات تشجيعية ، واشترطت أن يكون المدرسون من الحاصلين على شهادة دار المعلمين الابتدائية، بعد الخضوع لاختبار أهليتهم للتعليم، ولقد حثت إدارة المعارف السلطات في طرابلس على الاعتماد على خريجي هذا المعهد بدلا من الاعتماد على المجازين من الزوايا[2]،وهو معهد خاص بإعداد المعلمين للتدريس بالدواخل ومدة الدراسة به سنتان[3]، ومن الطبيعي أن تكون المناهج الدراسية تماثل المناهج التعليمية في مدارس الأستانة ، لذلك كانت ترسل الكتب من وزارة المعارف إلى طرابلس[4] .

وقد انتهجت السلطات العثمانية إجراءات أخرى بإدخال مناهج متطورة يتعدد فيها تدريس العلوم المنوعة، فبعد إنهاء الطالب الدراسة في المدارس الابتدائية ، يدخل الطالب إلى المدرسة الرشيدية ، وهي مدارس عثمانية عسكرية في مدينة طرابلس ، كانت تضم عدداً من الضباط الذين ينتسبون إلى عدة أنواع من الأسلحة كسلاح الفرسان والمدفعية والبحرية والمشاة ، وقد أنشئت مدرستان في عهد الباشا أحمد عزت[5] ، وانتسب إلى هذه المدارس عدد من اليهود ، حيث حظوا بامتيازات لم يحصل عليها الطلاب الآخرون من سكان الولاية ، منها السماح بأن يكون يوم السبت عطلة أسبوعية ، والسماح - أيضا - بوجود رئيس روحاني لكل مجموعة[6] .

بعد ذلك بدأت السلطات في التوسع في نظام التعليم في الولاية بإنشاء مدارس رشيدية غير عسكرية ،وقد خصصت رواتب لمعلمي ومراقبي هذه المدارس ، كانت مدة الدراسة بالنسبة للذكور أربع سنوات ويقوم منهجها الدراسي على تدريس العلوم الدينية واللغة العربية ، والعثمانية ، والفارسية ، والفرنسية ، والحساب ، والهندسة، والجغرافيا ، والتاريخ العام ، والصحة ، والرسم ، والخط[7] ، وفي عام 1877م،تم فتح مدرسة رشيدية في مرزق ، وفي عام 1898م تم إنشاء أول مدرسة رشيدية للبنات في مدينة طرابلس، وفي سبيل ذلك صدر قرارا ينص على إلزام المسؤولين بعدم تعيين الموظفين في دوائر الولاية إلا من كان حاصلاً منهم على شهادة من مدارس الولاية فقط[8] .

غير أن تلك المدارس القليلة قد أفرزت فئات من سكان طرابلس كان لها دور كبير في التصدي للإجراءات التعليمية من قبل السلطات، ونقد مناهج التعليم في مدارس الولاية، فمثلاً كُتب في صحيفة العصر الجديد في عام 1911م مقالا جاء فيه : " يذهب التلاميذ إلى المدارس وتُلقى عليهم أقاصيص مثل : عنترة ، ورأس الغول ، وحتى يفنى الزمن وتمر الساعات ثم يرجعون إلى منازلهم حاملين من العلم خرافاته ومن التربية والتهذيب ما يفسد به أخلاقهم ومن النشاطات ما يفشل عزائمهم"[9]

ومن ناحية أخرى تحدث أحد المثقفين من ولاية طرابلس في صحيفة المرصاد ،عن إهمال الدولة العثمانية للولاية تحت عنوان "جهل عميق وفقر مدقع وكسل متوارث وفوضى في الأخلاق " وتحدث عن ضرورة تقديم الخدمات للولاية ، وطالبت الصحيفة بأن لا تستمر طرابلس في هذا الوضع[10]، ويبدو أن الصحيفة أرادت أن توجه رسالة إلى السلطات العثمانية لحثها على إجراء إصلاحات التي من شأنها أن تنهض بالسكان التي توارث فيهم الفقر والجهل والكسل بسبب إهمال السلطات العثمانية للولاية

وفي مقال آخر في صحيفة العصر الجديد " أوليس من العار وإشعار التأخر أن لا يكون من بيننا واحد في الألف يحسن القراءة والكتابة "، ثم يقول من الواجب على الأهالي أن يتقدموا بالشكاوي مطالبين بالإصلاح بشتى الوسائل ؛ لأن الأمر قد استفحل وبلغت الأمية نسبة فاجعة[11] .

وقد ذهب بعضهم إلى اتهام السلطات العثمانية بالذل والمهانة لإغفالهم أهمية التعليم فيقول :" ولا شك في أن أمة بتلك الأفراد تكون هاوية في مهاوي الرّق والعبودية منغمسة في بحار الذل والهوان ، كلما طلبت طريق الهداية وقعت في شرك الضلال ،

ولذا يتبين لذوي الألباب أن لا سبيل إلى تقدم الأمّـــــة إلا بتربية أفرادها ولا طريق لتربية الأفراد إلا بإنشـاء المكاتب وتعميمها في أنحاء القطر ولا تسـتقيم المكاتب إلا باسـتقامة القائمين عليها ، وقد تعرّض مدير المعارف لحملات الإدانة والمطالبة بعزله فيقول أحد الكُتّاب : " إن أموال المعارف لم يرثها عن والده أو جده حتى يبخل بها عن صرفها في تعليم أبنائنا "[12].

إن التعليم في الولايـة لم ينل الاهتمام الكافي ، وبالتالي كان تردي الأوضـــاع التعليميـة في البلاد بين الأهـالي واضـــحاً، في الوقت الذي كان فيه أبناء رعايا الدول الأجنبية ينالون اهتمام ورعاية حكوماتهم ســـواء من حيث تشـــييد المدارس والإنفاق عليها بشـكل كبير، أم في توفير المدرسـين والكتب والإشـراف على المناهج وربطها بالمناهج التي تُدرس في بلدانهم[13] .

وكانت مناهج التعليم في مـــــــدارس الولاية غير مرضية ، فهي مناهج لا تتعدى مرحلة الإعداد ، أما المراحل العليا فكانت مقتصـرة على طبقة دون غيرها، وأن الجهود التي بذلها بعض الولاة للنهوض بـالتعليم في الولايـة جاءت متـأخرة جداً، ويبدو أن الاهتمام من قبل السـلطات بفتح بعض المدارس كان لامتصـاص نقمة العامة تجـاههم ، والتركيز على تعليم اللغـة التركيـة في الولاية ومحاولة لإظهار أنهم مهتمون بالناحية التعليمية .

المطلب الثاني ــ المناسبات الدينية والرسمية وتدخل السلطات العثمانية:

المجتمع في ولايـة طرابلس في تلك المرحلـة كان معظمه مجتمعاً بدوياً بطبيعة الحال، وللبداوة تأثيرها في سير أحداثه ، ووسـائل وظروف وطرائق العيش، وتطوره الثقافي، فقد عاش سـكان طرابلس حياتهم اليومية التي اسـتمدوها من تراثهم التقليدي، شـــأنهم شـــأن كل المجتمعات التي تمثل تقاليدهم وعاداتهم من احتفالاتهم بأفراحهم ومناسباتهم الرسمية والدينية وإرثهم الثقافي، والذي اختلف من منطقة إلى أخـــــرى باختلاف مورثاته، واختلاف نمط الحياة التي عاشـــها والعادات الدخيلة الحســـنة منها والذميمة.

1- المناسبات الدينية:

اهتمت الســـلطـات العثمـانيـة بـالأعيـاد الدينيـة اهتمـاماً لا تكاد تجد له نظيراً في المناسبات الأخرى، تمشياً مع سياسـة الدولة العثمانية في بناء الجامعة الإسلامية التي تتطلب بالضـرورة تلك المرحلة، خاصـة بعد إعلان الدسـتور العثماني في أواخر العهد العثماني الثاني.

كانت طرابلس مثلها كمثل جميع المناطق الإسلامية في الاحتفال بالمناسبات الدينية، إلا أن لكل منطقة من مناطقها أسلوبها الخاص الذي يميزها عن غيرها، ففي شهر رمضان كانت تستقبل مدينة طرابلس الشهر بإطلاق مدافع القلعة، حيث تطلق إحدى وعشرون طلقة إعلاماً بحلول الشهر، وتفتح أبواب المساجد وتقام حلقات الذكر، وتلقى الدروس الدينية في أغلب مساجد الولاية، عن طريق الوعاظ ومشائخ الطرق الصوفية، فتزدحم المساجد بالمصلين وتزدهر بالمصابيح وتفتح أسواق المدن الرئيسة بالولاية ليلاً ونهاراً، وتنطلق أصوات المدافع كل يوم في رمضان للتنبيه بأوقات الإفطار والسحور، ومع نهاية الشهر تستعد ولاية طرابلس لاستقبال عيد الفطر، حيث يخرج الأهالي إلى الصلاة في الساحات العامة والمساجد، وعادة ما يؤم الباشا المصلين في إحدى الساحات محاطاً بالفقهاء والقضاء والمفتي وكبار الموظفين[14]، وبعد نهاية صلاة العيد يقام عرض للمبارزة الشعبية بين الفرسان بحضور حشود من الأهالي وتعزف الموسيقى خاصة الطبل والمزمار وتوزع المشروبات على الحاضرين، ويتوافد على القصر أعيان الأهالي وكبار الموظفين وقناصل الدول الأجنبية لتقديم التهاني للباشا[15]

ومن العادات التي تقام في طرابلس في هذا اليوم، تنصيب شيخ الركب، وهو فارس من أهالي طرابلس يكلف ومعه مجموعة من الفرسان بحماية قافلة الحجيج، ويقوم الباشا بمنحه سيفاً وفرساً وبرنوساً أحمر وصرة من المال، ويخرج بعد ذلك إلى خارج المدينة ويعسكر لعدة أيام ينتظر وفود الحجاج من مختلف جهات طرابلس وتونس والجزائر والمغرب قبل المسير إلى الأراضي المقدسة[16].

وفي عيد الأضحى والذي يسمى بيوم" الموسم"، ترفع الأعلام وتطلق المدفعية طلقات نارية في خمس نوبات، ويحتفل أيضاً سكان طرابلس بيوم عاشوراء، فمثلاً كان سكان فزان يقيمون احتفالاً كبيراً يستمر ثلاثة أيام، ويعرف هذا اليوم عند الطوارق باسم (سبيب) فيتزين فيه الرجال والنساء بأكاليل من سعف النخيل، ويؤدون على ضوء القمر رقصات فلكلورية خاصة، كما يترنمون بأغانيهم الشعبية، ويقومون فيه بزيارة قبور موتاهم[17].

ويعتبر الاحتفال بالمولد النبوي من أهم الاحتفالات في طرابلس والتي تستمر حتى الساعات الأولى من الصباح، وتحيى بالتهليل والتكبير وقراءة القرآن والأذكار، وتتوافد إلى المدينة الوفود الشعبية والدينية من كل المناطق من أتباع الطرق الصوفية، حيث يلبسون أجمل الملابس، وتسرد في أكبر المساجد القصص النبوية الكريمة وتنشد

الأناشـيد والتي يرافقها قرع الطبول، ويشـارك في الاحتفال بعض الفرق الموسـيقية، ويتم الاحتفال عادةً بحضـور الباشـا نفسـه[18]، ثم تجوب الفرق الموسـيقية شـوارع المدينة، وهم ينشدون قصـائد المديح للرسـول صـلى الله عليه وسلم[19]، وقراءة قصـة المولد النبوي وديواني البغدادي والشيخ البهلول طيلة شهر ربيع الأول، وترفع الأعلام العثمانية على أعلي المباني في مدينة طرابلس[20]، ويقوم الباشـا بصـرف مبالغ كبيرة على رجال الدين ومريدي الزوايا الصـوفية وذلك لكسب ولائهم واستغلالهم في أوقات الضـــرورة[21]، وبـالتـالي احتلت الزوايـا دوراً في الحيـاة الثقـافيـة في مجتمع الولايـة وصـارت ركناً من أركانها، ومنها سـاد التصـوف الطرقي وغير الطرقي والجماعي والفردي، حيث تؤدى المدائح النبوية والتضـرعات والاسـتغفارات السـاعية للإشـباع الروحي والهروب من زخرف الدنيا ومتاعها وشـــهوتها، وهكذا صـــارت الزوايا من القوى المؤثرة في الفضاء الثقافي[22].

ومن ضـمن الاحتفالات الدينية التي كان يحييها أهالي طرابلس ليلة عاشـوراء، والتي كان تقام فيها بعض التقاليد الشـعبية، فنذكر منها على سـبيل المثال، قيام بعض العامة بحمل ما يشبه رأس جمل ويدورون به في أزقة البلد والحارات، غير أن عثمان باشا والي طرابلس، أبطل هذه العادة معتبرها من العادات السيئة[23].

وبالإضـــافة إلى تلك المناســبات الدينية كان يقام احتفال بعيد الفصـــح الخاص بالنصـارى وفي ذلك إشـارة كبيرة إلى التسـامح الديني الذي اعتاده علية طرابلس في ظل المبادئ الإســلامية ، حيث كانت تشــعل فيه النيران وتقام الصــلاة النصــرانية والأدعية، ويجلس الباشا في القصر ليستقبل قناصل الدول الأجنبية يبادلهم التهاني[24].

ومن العادات الشـائعة بين أهالي طرابلس زيارة أضـرحة الأولياء، التي تنتشر بشـكل واسـع في معظم المناطق، حتى أنه كان لكل قرية ولي تتبارك به، وعادةً ما يتم التنســيق بين عدة مجموعات وقرى لزيارة الولي، ويتم ذلك في فترات الصــيف بعد موسم الحصاد، وتكون هذه الزيارة متنفساً لهم وترويحاً على النفس حيث يقضونها في اللعب واللهو، يمرح فيها الأطفال وتعقد النســاء جلســات غناء ورقص، أما الشــباب فيتبارون في سـباق الخيل وبعض الألعاب الرياضـية الأخرى، أما الشـيوخ فيجتمعون في حلقات الذكر حول ضـريح الولي[25] وسـلك باشـاوات طرابلس نفس المسـلك في التبرك بالمرابطين وزيارة الأضـرحة، فمثلاً عندما وصل الباشا محمد حالت (1870-1871) إلى ميناء طرابلس، أمر بذبح خروف أمام كل ضـريح من أضـرحة المرابطين الأربعـة الواقعـة على الطريق المؤدي من الميناء إلى القلعـة، ثم توجـه إلى المســجـد

واضـــعاً يده في يد أحد الدراويش، ولقد بلغ الاعتقاد ذروته حيث يتحدث الرحالة الألماني (مالتسان) عن رحلته إلى طرابلس في عام 1869م "أن في طرابلس درويش أطلق عليه (جالب المطر)، وهو شخص يعتقد فيه الطرابلسيون الصلاح، ويظهرونه على أنه رجل العجائب، ويعتبرونه ولياً مباركاً[26]، ويذكر- أيضاً - الرحالة الألماني (رولفس) في كتابه رحلة عبر أفريقيا ما بين عامي 1865-1867م، فيقول:" أثناء رحلتي شاهد بعض الأهالي عصفوراً صغيراً يدخل خيمتي وجلس على كتفي فرحوا فرحاً شديداً "وهتفوا أنه مرابط وقالوا لي وأنت أيضاً مرابط، فأنت تفهم بالتأكيد لغة العصافير مثل سيدنا سليمان"[27].

2- المناسبات الرسمـــية:

أما المناسبات الرسمية فقد كان للسلطات العثمانية في طرابلس عدة أعياد مثل: عيد ميلاد السلطان العثماني وعيد الحرية، ففي عيد ميلاد السلطان تتزين شوارع مدينة طرابلس وتقام الاحتفالات، حيث تبدأ باستقبال الباشا في مقر إقامته في السرايا للمهنئين، ويشارك في الاحتفال كبار الموظفين والضباط وأعيان المدينة وأثرياؤهم، وهم في أبهى حللهم وألبستهم بالإضافة إلى قناصل الدول الأجنبية، وتعزف الفرق الموسيقية التي ترتدي لباس التشريفات موسيقى ابتهاجاً بهذا اليوم[28].

وفي هذا اليوم يحظر على الأهالي مزاولة نشاطاتهم اليومية، فيلزم أغلب السكان بيوتهم ويتخذوا ذلك اليوم راحة من العمل، فتكاد تخلو المدينة من الناس، فيذكر ذلك جلين تكلر في رحلته إلى طرابلس فيقول: "تخلو مدينة طرابلس من الناس تقريباً في ظهيرة يوم الاحتفال فتراها هاجعة حتى تكاد تظن أنها أقفرت من سكانها"[29]، أما بقية الأهالي المشاركين في الاحتفال فيحتشدون خارج القصر يهللون ويغنون بأصوات عالية في جلبة تعلو عليها أصوات الفرق الموسيقية والتي تنتظم في صفوف تنتظر خروج الباشا، حيث تقدم لهم الحلويات وتنطلق الألعاب النارية، وتعزف الفرق الموسيقية تحيتها الختامية أثناء خروج الباشا من القصر[30].

وبالإضافة إلى ذلك كان الاحتفال بعيد الحرية، والذي يلقي فيه الباشا خطاباً حماسياً يتحرى فيه الأسلوب البلاغي في مدح السلطان العثماني، وذكر مزايا السلطات العثمانية بطرابلس، وعادةً ما يقطع خطاب الباشا بتصفيق الحاضرين وتهليلهم، ويصاحب ذلك أصوات المدافع التي تطلق من القلعة بين الحين والأخر[31].

وعلي الرغم من تعدد هذه الاحتفالات والتي كانت من الممكن أن تسهم بشكل مباشر أو غير مباشر في الرقي بالمشهد الثقافي، إلا أن ذلك لم يحدث، لعدة أسباب

منها: تدخل قناصل الدول الأجنبية في سير مراسم هذه الاحتفالات والذين كانوا يرغمون السلطات على تنظيمها بما يتماشى مع رغباتهم، فقد كُتب مقالاً في صحيفة المرصاد انتقد فيها سيطرة القناصل وخرقهم لقواعد السلطات في أداء المجاملات الدبلوماسية[32]، هذا التدخل أثر - ولو بشكل غير مباشر- في فقدان تلك الاحتفالات الأهداف المتوخاة منها في ترسيخ الثقافة الإسلامية في هذه المناطق، ومن جانب آخر فأن بعض الولاة حاول نشر الثقافة التركية والذي دل عليه هو أن معظم الخطابات التي كانت تلقى في تلك المناسبات كانت باللغة التركية.

غير أن حالة الأهالي البائسة بسبب الإهمال والفقر وضيق ذات اليد وسياسة بعض الولاة المتعجرفة، ورؤية الأهالي ما ينفق بإسراف على تلك الاحتفالات وهم في أمس الحاجة لتك الأموال، ساعد كل ذلك على عدم مساهمة اغلبهم في تلك المهرجانات الأمر الذي كان من شأنه أن يرفع من مستواهم الثقافي في تلك الفترة.

المطلب الثالث ـــــ الجمعيات الأهلية والنخب ودورهم في التصدي للإجراءات العثمانية بالولاية :

لسكان ولاية طرابلس دور في التصدي للتدخلات الخارجية التي حاولت التأثير على الثقافة العربية السائدة في تلك الفترة، وفي ظل تلك الظروف برزت جمعيات أهلية كان لها دور كبير في المشهد الثقافي في الولاية منها جمعية سراج الدين ، التي أسسها رجل اسمه إبراهيم سراج الدين واستقر فيها، حيث تقرب من أعيان المدينة، الذين التفوا حوله لثقافته ولصنعته ، ومع مرور الوقت أسس في مدينة طرابلس مكتبة خاصة أوائل عام 1883م بشارع العزيزية قبالة باب المنشية ووضع لها نظاماً داخلياً ، للقيام بدورها كمكتبة عامة أو مركز ثقافي .

بعد ذلك تطور عمل إبراهيم سراج الدين وأسس جمعية سرية، متأثراً بمصر التي ازدهر فيها تأسيس الجمعيات الأهلية في تلك الفترة، وكان معه حمزة ظافر المدني وأحمد النائب الأنصاري[33]، كان الهدف من إنشاء هذه الجمعية محاولة إصلاح الفساد السياسي والإداري في البلاد، من خلال نشر التعليم في جميع مناطق الولاية كذلك الرفع من مستوى قبائل سكان الدواخل[34]، فضلاً عن الاهتمام بالعلوم والمعارف الحديثة ودعوة الناس إلى التعليم وإنشاء المدارس العالية في الطب والهندسة والصنائع ، والذي نص عليه في المادة السادسة من القانون الأساسي للجمعية كما نصت المادة السابعة على إدخال بعض الإصلاحات على القبائل باعتبارها جمعيات أهلية ضلت الطريق المقصود منها [35]، فبالإضافة إلى دورها السياسي، كان إبراهيم

سراج يقوم بتقديم دروس في الرياضيات والاجتماع والأدب، وتحريض الأهالي على الانتفاضة على وضع الولاية وما تعانيه من تأخر وتخلف وتكالب الدول الاستعمارية عليها، من خلال التركيز على التعليم والحركة الفكرية، حيث انضم إليه مجموعة أخرى من مثقفي طرابلس منهم مصطفي القلالي وإبراهيم باكير وعبدالرحمن البوصيري ومصطفي زكري وغيرهم[36].

واتخذ أعضاء الجمعية بعد ذلك مقراً لهم داخل مقهى مصطفي آغا، الذي استأجروه لهذا الغرض، حيث كانوا يستخدمون قاعة المقهى للقراءة والمطالعة، ومن أجل تبرير ذلك لباشا طرابلس في ذلك الوقت أحمد راسم، تذرعوا بأن أمثال هذه القاعة موجودة لدى اليهود ولدى الجاليات المسيحية، بالإضافة إلى الأعمال التثقيفية العامة في الجغرافيا والتاريخ كانوا يتبادلون خلال جلساتهم التي يعقدونها كل مساء المعلومات حول الأحداث في البلاد وخارجها، ويقرؤون الصحف ويناقشون المقالات، وتولى أهمية خاصة لمناقشة قضايا الساعة مثل تحديات الاستعمار الخارجي وطرق التصدي لها، فضلاً عن وسائل وطرق الارتقاء بالمستوى الاقتصادي والاجتماعي والسياسي في البلاد[37].

كان نشاط الجمعية الفكري محظوراً من قبل السلطات العثمانية في الولاية، غير أن السلطات فطنت لذلك النشاط غير القانوني من وجهة نظرها، وعليه وجهت لهم تهمة تشكيل جمعية للفساد في الولاية وتعريض النظام السياسي للدولة العثمانية للخطر[38]، فكانت هذه الجمعية من أوائل الجمعيات السرية في طرابلس ،والتي كان لها دور - دون شك- في المشهد الثقافي بصورة أو بأخرى.

وفضلاً عن هذه الجمعية، قامت جمعيات أخرى تدعو إلى إصلاح الولاية وتعمل ضد الإجراءات العثمانية وتخفيف الأعباء عن المساكين والفقراء، ومن بين تلك الجمعيات، جمعية (نجمة وهلال النسائية)، والتي كانت تدعو إلى تأهيل الأمهات من خلال العمل والتعليم، وجمعية (الشفقة) التي أنشأت من أجل إعانة البنات الفقيرات بتوفير ملابس وغيرها، وجمعية (دار العجزة) لتقديم رعاية صحية للعجزة الذين ليس لهم أسر[39].

إن الجمعيات السياسية التي تكونت في طرابلس - مع قلتها وعدم انضواء أعداد كبيرة من سكان الولاية تحتها - إلا أنها أسهمت بشكل أو بآخر في إنشاء بوادر يقظة فكرية وسياسية ظهرت عملياً في تحرك سياسي لم تشهده الولاية في الحقبة السابقة، وخاصة ضد سياسة التتريك العثمانية وضد التغلغل الاستعماري الايطالي في

الولاية في أواخر العهد العثماني الثاني، وبالإضـــافة إلى دورها الاجتماعي والثقافي، فقد قدمت مســاعدات مالية، ووفرت مراكز للفقراء لحمايتهم من الانحراف السـلوكي، غير أن السـلطات العثمانية وجدت في هذه الجمعيات خطراً على وجودها في الولاية، وبالتالي عملت بكل الوسائل على القضاء عليها.

غير أن السلطات العثمانية لم تهتم بالجانب الثقافي للولاية إلا بعد صدور قرار الدولة العثمانية بتحويل إيالة طرابلس الغرب إلى ولاية وفق الفرمان الصـــادر بتاريخ 1865/9/1م،وهو ما يســـتوجب تطبيق اللوائح النـافذة في الولايات المماثلة لها في الدولة العثمانية، ومن تلك اللوائح إنشـاء مطابع تطبع بها الدوريات، التزامـــاً بقانون الولايـــات (ولايت نضـامنامه سي) عام 1864م المتضـمن في المادة التاسـعة قانون المطـابع، والذي أصـــدره البـاب العـالي كي يطبق في جميع أنحـاء الدولـة العثمـانيـة، والقاضـي بإصـدار جريدة رسـمية في الولايات، والذي تنص فيه المادة التاسـعة على "أمور تحريرات الولاية عموماً حال إلى مأمور منصـــوب من طرف الدولة بعنوان مكتوبجي الولاية، يوجد بمعيته قلم تحريرات، وبهذه الواسـطة تجرى مكاتبات الدائرة الرســمية ومحافظة أوراقها وقيودها كافة، وتكون في الولاية مطبعة توجد تحت إدارة المكتوبجية"[40].

وتشـكِّلُ الطباعة والمطبوعات (الكتب والصـحف والمجلات) تحولا بارزا في مادة التاريخ الثقافي؛ بما أحدثه هذا التطور الكبير من انقلاب خطير في وسيلة النشر، وما أفرزه من نتائج جلية على مسـتويات التواصـل الثقافي وتطور الأفكار وانتشـار المعرفة. وقد كان لظهور هذا الاختراع الجديد آثارٌ وردودُ فعلٍ مختلفة في المجتمعات الإسلامية التي أَلِفَتْ شكل الكتاب المخطوط قرونا متصلة مـــن تاريخها الثقافي، وهو ما تناوله بعض الباحثين بالمتابعة والدرس.

وبالتالي كان للطباعة دور بارز في الحياة الفكرية في ولاية طرابلس، ذلك من خلال دخول أول مطبعة حجرية في عام 1859م ، كان مقرها بالسراي الحمراء، غير أن الطباعة اقتصـرت في بداية الأمر على طباعة المسـتندات الرسـمية لدى السـلطات العثمانية بالولاية، وبالتالي فإن هذه المطبعة الحجرية لم تطالعنا بأي نشاط صحفي[41]، إلا بعد حوالي سبع سنوات عندما طبعت بها صحيفة طرابلس الغرب في عام 1866م، وتتكون من أربعة صـفحات باللغتين التركية والعربية، بعد إرسـال الباشـا محمود نديم طلباً إلى الباب العالي في نهاية عام 1865م ذكر فيه عزمه على إصدار صحيفة نصف شـهرية باسـم (فوائد غربية) وإسـناد مهمة تحريرها إلى أحد موظفي الولاية ، كذلك

طبعت بها سالنامة الولاية، وهي دورية تختص بأمور طرابلس، بعد أن أدخلت عليها بعض التحسينات الجزئية لتكون صالحة لطبع الصحف[42].

بيد أن المطبعة الحجرية كانت مرهقة للغاية، حيث كان يستغرق كتابة عدد واحد من الصحيفة ثلاثة أو أربعة أيام، فضلاً عما تتطلبه من العاملين واضطرارها للتأخير أحياناً، لذلك سعي على الرضا باشا إلى حل هذه المشكلة، فبمواصلة سعيه في هذا الأمر تمكن من الحصول على الموافقة لتأسيس مطبعة حديثة في طرابلس في عام 1869م، طبعت بها صحيفة طرابلس الغرب وسالنامة الولاية[43].

ومما يلفت النظر أن المطابع في الولاية لم تسهم في طباعة الكتب ونشرها، ومرد ذلك إلى أن السلطات العثمانية لم تنشئ هذه المطابع لهذا الغرض، بل كان الغرض منها طباعة الأوراق الرسمية والتجارية الخاصة بالحكومة، وما يدلل على ذلك عدم مساهمة السلطات في تكاليف بعض المطبوعات التي كانت تصدر في طرابلس في تلك الفترة، فمثلاً كان الحصول على الدوريات يتم عن طريق الاشتراك، والذي يكون عادةً عن طريق متعهد، فكان المحامي محمد بن محمد أبو ربعية[44]، متعهد الصحف العربية من بيروت والقاهرة، ويلاحظ أن اسم المتعهد كان يكتب بجوار عنوان الدورية، حيث كان يؤمن مصاريف طباعة الدورية من المشتركين، وذلك عن طريق خصم قيمة الاشتراك من مرتباتهم مباشرة، مما يضمن دخلاً ثابتاً لاستمرار صدور الدورية، ساعدت هذه السياسة على استمرار صحيفة طرابلس الغرب طيلة هذه الفترة حتى الاحتلال الايطالي لطرابلس عام 1911م، غير أن الجانب الايجابي لهذه السياسة هو وصول بعض الصحف إلى أعداد كبيرة من الأهالي في المقاهي العامة[45].

إن هذا لم يمنع بعض المثقفين من سكان الولاية، والذين برزوا من خلال بعض المراكز العلمية ، فضلاً عن الذين قصدوا منابع العلم في المشرق العربي كمصر وسوريا والعراق أو المغرب العربي، والذين كانوا على قلتهم نسبياً إذا ما قورن عددهم بعدد العلماء والأدباء والمثقفين الموجودين في مناطق أخرى، حيث كان لهم في التأثير الايجابي على الحركة الثقافية، وذلك بفضل ما كانوا يتمتعون به من تقوى وإخلاص والتزام بتعاليم وقيم الدين وأخلاقه وتطبيق عملي لما علموا واحتراماً لعلمهم ولأنفسهم[46]، من طباعة مؤلفاتهم خارج الولاية، منهم على سبيل المثال: إبراهيم سليمان الشماخي وهو أحد المثقفين، درس في الجزائر حيث طبع كتاباً اهتم فيه بجغرافية جبل نفوسه وتاريخه وجانب من العادات والتقاليد، وقد كتب هذا الكتاب

باللغة الأمازيغية وعنوانه (ليفا سرا والبريدن وين آدرارنأنفوسن) (القصور والطرق في الجبل) كان ذلك بتاريخ 1892م[47]، وكتاب طبع في أسطنبول عام 1899م عنوانه (المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب) لأحمد النائب الأنصاري، وهو أديب ومؤرخ يجيد التركية والفارسية، وله كتاب آخر بعنوان (نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان)[48]، وكتاب (الفتاوى الكاملة في الحوادث الطرابلسية) للكاتب محمد كامل بن مصطفى في عام 1895م، وكتاب (رسالة في تحذير المسلمين من الأحاديث الموضوعة) وكتاب (اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة)،وكتاب (طبقات المالكية) لمؤلفه محمد البشير ظافر المدني، وكتاب بعنوان (سلم العامة والمبتدئين إلى معرفة أئمة الدين) وهو كتاب للتعريف بمنهج المذهب الإباضي، طبع في 1906م بمصر، لمؤلفه الشاعر والفقيه من جبل نفوسه عبد الله الباروني الذي درس في الأزهر وكان مهتماً بتاريخ المذهب الإباضي[49].

وفي مجال الأدب ديوان في الشعر للشاعر والأديب مصطفي بن زكري، طبع في مصر عام 1891م ويعد هذا الديوان أول ديوان شعر في ولاية طرابلس[50]، وديوان في الشعر للشاعر الباروني طبع في القاهرة سنة 1897م، وديوان لابنه سليمان الباروني طبع في عام 1908م[51].

في هذه الظروف أبدى مثقفو الولاية شغفاً بمتابعة الصحف من خارجها من العواصم العربية والأجنبية، إذ عنوا بالاهتمام بقراءة صحيفة (الجوائب) للأديب أحمد فارس الشدياق، واهتموا أيضاً بمتابعة صحيفة "العروة الوثقى" التي كان يصدرها الشيخان جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في باريس، ولم يقف المثقفون على قراءة الصحافة العربية فحسب، بل امتد اهتمامهم – نتيجة ما توفر لهم من حرية واستقرار، وتعلم لغات أوربية – إلى متابعة الصحف الأوربية والأمريكية[52].

وقد أسهمت هذه الصحف في يقظة سكان بالولاية، فيقول : (جيوسي بياتزا) صاحب كتاب (الأرض الموعودة) ، والذي زار طرابلس في نهاية الحكم العثماني "هذه الجرائد أدوات هامة لا يمكن إغفالها أو التقليل من تأثيرها كوسيلة للإعلام والتمدين، فالقراء الحقيقيون قلة، ولكن كل قارئ محاط بجماعات كبيرة من الأصدقاء والمستمعين الذين يتحلقون حوله، ينصتون لقراءاته بصوت عال، فما تكاد تصدر الجريدة حتى تشاهد في كل نقاط المدينة، وحول موائد المقاهي التركية وفوق الحصر العربية بالشوارع، وفي المتاجر والدكاكين جماعات تصغي إلى أخبار الجريدة وتعلق عليها"[53].

في ظل سياسة التتريك ظهرت الدعوات إلى القومية العربية من بعض مثقفي طرابلس، ويبدو أن الهوة بدأت تتسع بين العرب والعثمانيين في الولاية بالرغم من كل الشعارات التي كان ينادي بها الحكام من ثوب الأمة الواحدة، فقد كثرت المقالات في الصحف التي تنتقد تلك السياسة، كأن يعرض أحد الكتاب إصرار الحكام الأتراك على إبقاء العرب في دائرة الجهل فيتحدث "عن أن السلطات سدت طرق الرقي والمعرفة خوفاً من تيقظ الأهالي"[54].

ولقد أفرزت ظهور المجالس الأدبية والثقافية على مستوى المنتديات العامة في دور الصحافة التي كانت مجالاً طرح فيه المثقفون مسائل العلم وطرائف الأدب وقضايا أحوال بلادهم والأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية، وهذه المجالس عادةً ما كانت تنعقد في مقرات الصحف في سوق الترك[55]، كما تواصل بعض المثقفين من طرابلس بصلات ثقافية مع مشاهير الثقافة في العالم عن طريق مكاتبتهم، فأعطت للحياة الثقافية والفكرية فرصة لتوسيع النظرة والاستفادة من التيارات والمناشط المتعددة في محاولة الاقتداء بهم في بعض المجالات، ومن تلك المظاهر الاجتهاد في تأسيس الصحف[56].

أبدى المثقفون تعاطفاً واضحاً مع سكان الولاية ضد الإجراءات العثمانية ، ولفتوا أنظارهم للمعاناة التي كان يعاني منها، كذلك انتقدوا العديد من السلوكيات الاجتماعية التي كانت تسهم بشكل أو بآخر في إضعاف الوضع الثقافي، فقد جاءت معظم تلك الآراء في الصحف اليومية في صورة شعر أو خطابة أو مقالة أو مشروع إصلاح.

وفي ظل هذا الوضع، حاول المثقفون نشر إنتاجهم الثقافي في بعض المقالات التي كتبت في صحف طرابلس والتي توضح دورهم في المشهد الثقافي ودعوة السلطات إلى الإصلاح في الولاية ، فقد حمل بعض الكتاب السلطات العثمانية التأخر في تطبيق الإصلاح العثماني في الولاية، وخاصةً في التعليم، ويبدو أن الإصلاح عم الولايات العثمانية الأخرى فيقول "لأنه لو أريد المقايسة بين الطلبة التي تربيها المكاتب الابتدائية التي أسست في المكاتب الصبيانية الكائنة في ولايتنا لظهرت درجة ترقى تلك المكاتب"[57]، وكان يقصد الكاتب في هذه الفقرة التطور الذي حدث في نظام التعليم في عدة ولايات دون ولاية طرابلس، وكان يوحي إلى السلطات بأن تحذو الولاية حذو الولايات الأخرى بالاهتمام بالتعليم .

بيد أنه لم يكن المثقفون - إن جاز لنا التعبير- منغلقين ومنعزلين بشكل كلي رغم الظروف السياسية التي فرضتها الدولة العثمانية التي من شأنها أن تحد من الاتصال بالعالم الأوربي، ففي أواخر العهد العثماني انتشر التعليم الأهلي في أغلب المدن والقرى وقامت الزوايا والطرق الصوفية بدور كبير في ترسيخ الثقافة العربية الإسلامية، وشهدت البلاد حركة نشطة في طبع الكتب والجرائد والصحف محلياً، ومنها ما يصل من الخارج إلى الأهالي، ويكفي أن نشير إلى أن سجلات المحاكم الشرعية كنموذج ثقافي وما يمثله التراث الشفهي الذي ينقل عبر الأدب والشعر الشعبي دليل على كونه عنصر هام في رسوخ الهوية العربية، أما عن الانفتاح على ثقافة الآخر نذكر من الشخصيات المثقفة الطرابلسية الحاج أبو ربعية صاحب مكتبة بطرابلس كان يأتي بالجرائد العربية والأجنبية من حين للآخر مثل (الأهرام القاهرية وبيروت اللبنانية) وبعض الجرائد الأجنبية، وتوزع على المهتمين، إلا أن السلطات العثمانية كانت تخشى من بلبلة الأفكار لذا وضعت قيوداً ورقابة صارمة على دخول المطبوعات عبر ميناء طرابلس، وكثيراً ما صودرت بعض الصحف العربية والفرنسية التي لا تتوافق وسياسة الدولة العثمانية

ومع أن الصحافة في طرابلس ولدت عام 1866م بظهور صحيفة طرابلس الغرب الرسمية إلا أنها في السنوات الأخيرة للعهد العثماني أصبحت لبنة مهمة في صرح البناء الثقافي، فلقد استطاعت الفئة المثقفة الليبية الحديثة على الرغم من صغر وزنها الكمي أن تخوض غمار مواضيع هامة اقتصادية وسياسية وثقافية واجتماعية، وسعت إلى كشف حيل المستعمر وتنوير الأذهان، وبالتالي فإن الصحافة كانت ذات وجه مشرق إبان احتلال الجزائر وتونس وعلى وعي بما يدور على الساحة العالمية[58].

كان للمثقفين دور مهم ومؤثر في المشهد الثقافي بالولاية، فهم أعمدة التنوير والعقل المفكر والرصيد الفكري للنهوض بالولاية، غير أن هذه الفئة عانت من القرارات والإجراءات التعسفية الرامية إلى تكميم الأفواه وتكسير الأقلام، وقد أثر هذا القمع على المنتج الثقافي وحجم دوره في الحراك نحو الإصلاح، أضف إلى ذلك أن المثقف هو أحد أفراد المجتمع يجري عليه ما يجري على مجتمعه من ظروف قاسية في حياته ومعيشته ويعاني مما تسببه هذه الظروف من معوقات، وعلي الرغم من ذلك فقد لعب المثقفون في تلك الظروف الصعبة أدواراً مهمة وكانت كتاباتهم وأحاديثهم

فاعلة في بلورة الرأي العام، وكان لها تأثير إيجابي في كافة مظاهر الحياة في طرابلس بما في ذلك المشهد الثقافي.

الخاتمـــــــــة :

وبعد القيام بالدراسة توصلت إلى نتيجة مفادها

1- اهتمام السلطات العثمانية بالتعليـــم الحديث في الولاية كان محدوداً، مما أتاح الفرصة الكبيرة للتعليم عن طريق الكتاتيب والمدارس الملحقة بالمساجد الرئيسة ودور أكبر لمشائخ الطرق الصوفية لقيادة العملية التعليمية ، أما مدارس الولاية النظامية فقد أدت دوراً بسيطاً، فضلاً على أن أعداد خريجيها كان قليلاً جداً، بالإضافة إلى أن التعليم إجباري .

2- مع بداية القرن العشرين جرت محاولة من جانب بعض السلطات للرقي بالولاية بإقامة بعض الإصلاحات في مجال التعليم والتي أتت ثمارها بتكوين قاعدة فكرية فعالة لا بأس بها في البلاد غير أنها لم ترق إلى المستوى المطلوب ، لا سيما في بناء المدارس الحديثة.

3- برزت الجمعيات السياسة التي تكوّنت في طرابلس مع قلتها وعدم انضواء أعداد كبيرة من الأهالي تحتها، إلا أنها أسهمت بشكل أو بآخر في إنشاء بوادر يقظة فكرية وسياسة ظهرت عملياً في تحرك سياسي لم تشهده الولاية في الحقبة السابقة، وخاصة ضد الإجراءات العثمانية في الولاية وضد التغلغل الاستعماري الإيطالي في أواخر العهد العثماني الثاني، بالإضافة إلى دورها الاجتماعي والثقافي، فقد قدمت مساعدات مالية ووفرت مراكز للفقـــراء لحمايتهم من الانحراف السلوكي، غير أن السلطات العثمانية وجدت في هذه الجمعيات خطراً على وجودها في الولاية، وبالتالي عملت بكل الوسائل على القضاء عليها.

4- تطور الوضع الثقافي والوعي الاجتماعي بالولاية كان على يد أصحاب العقول النيرة من المثقفين في نهاية القرن التاسع عشر، عندما توفرت لهم أدوات المعرفة كالمطابع والصحف والمدارس الرسمية.

5- شكلت طرابلس سياجاً ثقافياً معرفياً قدمت من خلاله الكثير من الأعلام ورواد النهضة في مجالات العلوم المختلفة، ويمكن أن نستدل مما وصلنا على أن هناك علماء ومشايخ كانوا ذوي علم واسع، أسهموا مساهمة فعالة في النشاط الفكري والثقافي في الولاية. وإن كان يغلب على نشاطهم الفكري الاهتمام بالعلوم الدينية، إلا أن العلوم العقلية كان لها نصيب من ضمن نتاجهم الفكري ولكن لا نستطيع إعطاء صورة واضحة عن

هذه العلوم في تلك الفترة نظراً لضياع أغلبها، بسبب النكبات التي تعرضت لها البلاد، مما أدى إلى ضياع الكثير منها، وما سلم من هذا التراث لا يزال حبيس دور المخطوطات والخزائن الخاصة.

6- كانت بولاية طرابلس خفقات حية لنشاط فكري له قيمة في ظل تلك المؤثرات السلبية ويبقى لبعض علمائها دور في نشر الثقافة في المغرب العربي والوقوف ضد سياسة التتريك التي أتبعتها السلطات العثمانية في الولاية.

7- إن مثقفي ولاية طرابلس الغرب ضربوا صورة حية من الجهاد في سبيل الحصول على العلم رغـم تلك التحديات التي كانت تواجههم، إذا ما قورن ذلك بمثقفي الولايات العثمانية الأخرى الذين كانوا في مناخ خصب يشجع على العلم والتعلم.

8 - عدة جمعيات أهلية وبعض مثقفي الولاية كان لهم دور في المحافظة على القيم الاجتماعية والثقافية والوطنية غير أن هذه المحاولات لم ترتق إلى الدور المنوط بها.

وأخيرا . أتأمــل أن يكون هذا البحث إضافة متواضعة إلى الدراسات التاريخية التي تناولت تاريخ طرابلس في العهد العثماني الثانـي.

وأدعـــــــــو الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في هذا العمل لخدمة أمتي ووطني العزيز.

الهوامـــــــش:

1. فرانشيسكو كورو ،ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني، طرابلس، دار الفرجانى، د.ت ، ص100.
2. وثيقة رقم 959 ، بخصوص تقرير إدارة الولاية إلى مجلس المعارف ، ملف التعليم ، دار المحفوظات التاريخية سابقاً، طرابلس .
3. فرانشيسكو كورو ، مرجع سابق ، ص100.
4. وثيقة رقم 1759 ، ملف التعليم ، دار المحفوظات التاريخية سابقاً ، طرابلس .
5. تيسير بن موسى ، المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، طرابلس، الدار العربية للكتاب، 1985م ، ص235.
6. صحيفة الترقي ، العدد 177 ، بتاريخ 1909م .
7. فرانشيسكو كورو ، مرجع سابق ، ص100.
8. تيسير بن موسى ، مرجع سابق ، ص337.
9. صحيفة العصر الجديد ، العدد الخامس ، بتاريخ 1911م .
10. صحيفة المرصاد ، العدد (28) ، بتاريخ 1911م .
11. صحيفة العصر الجديد ، العدد الثاني ، بتاريخ 1909م .
12. صحيفة المرصاد ، العدد الثالث عشر ، بتاريخ 1911م .
13. محمد إمحمد الطوير" وثيقة تاريخية تكشف عن طبيعة التعليم في مدينة طرابلس قبل وبعد الاحتلال الإيطالي" مجلة الوثائق والمخطوطات ،العدد الثالث،السنة الثالثة، طرابلس، منشورات المركز الليبي للمحفوظات و الدراسات التاريخية، 1988م ، ص165.
14. تيسير بن موسى، مرجع سابق، ص36.
15. ه. س . كاوير، مرتفع الآهان الجمال (استكشاف الهياكل الثلاثية والمواقع المغليثية في طرابلس) ت أنيس زكي حسن، طرابلس، دار الفرجانى، 1987م ، ص35.
16. تيسير بن موسى، مرجع سابق، ص35.
17. عبدالقادر جامي، من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى، ترجمة محمد الأسطى، طرابلس، دار المصراتي، دت، ص152.
18. تيسير بن موسى، مرجع سابق، ص35 .
19. صحيفة طرابلس الغرب، العدد 1278، بتاريخ 1911م .
20. صحيفة الكشاف، العدد 15، بتاريخ 1911م.
21. تيسير بن موسى، مرجع سابق، ص35.
22. رأفت غنيمي الشيخ، تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة،ط1، بنغازي،1972م ، ص106.
23. خليفة محمد التليسى، حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب، مالطا، الدار العربية للكتاب، 1974م، ص161.
24. أحمد صدقي الدجاني، ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي، المطبعة الفنية الحديثة، ب.د،1971م،ص234.
25. المبروك على الدريدي، من عاداتنا وتقاليدنا، طرابلس، الإدارة العامة للثقافة، 1974م، ص28،27.
26. هيزيش فون مالتسان، في رحاب طرابلس وتونس، ت عماد الدين غانم، طرابلس، منشورات المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، 2008م، ص307.
27. رولفس، رحلة عبر أفريقيا، ترجمة عماد الدين غانم، طرابلس، منشورات المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، 1996م، ص163.

28. وثيقة تركية، ترجمة محمد الأسطى، بتاريخ 23 يوليو 1910م، دار المحفوظات التاريخية سابقاً، طرابلس.
29. جلين تكلر، معارك طرابلس بين الأسطول الليبي والأسطول الأمريكي في القرن التاسع عشر، ت عمر الديراوي، لندن،الناشرون دارف المحدودة، ص348 .
30. مابل لومس تود ، أسرار طرابلس، طرابلس، دار الفرجانى، 1948 م ، ص63.
31. صحيفة المرصاد، العدد 20، بتاريخ 1911م.
32. مقالة بعنوان "التذكار لعيد ميلاد أمير المؤمنين"، صحيفة المرصاد، العدد 6، بتاريخ 1910م.
33. احمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص362.
34. محمد مسعود جبران، أحمد الفقيه حن (الجد)، 1843-1886م، طرابلس، منشورات المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، 1987م، ص30.
35. إبراهيم فتحي إعميش ، التاريخ السياسي ومستقبل المجتمع المدني في ليبيا ،ج1، برنق للطباعة والترجمة والنشر ، 2008م ، ص26.
36. محمد مسعود جبران، مصطفي بن زكري في أطوار حياته وملامح أدبه، طرابلس، المنشاة العامة للنشر والتوزيع، 1984م ، ص52.
37. بروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث، ترجمة عماد حاتم، ج1، طرابلس، منشورات المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، 2005م ، ص378.
38. وثيقة بخصوص التحقيق في قضية جمعية سراج الدين، ملف إبراهيم سراج، دار المحفوظات التاريخية سابقاً، طرابلس، ص 39.
39. آمال إمحمد الطالب، الحياة الأسرية في ولاية طرابلس الغرب في العهد العثماني الثانـي ، طرابلس ،منشورات المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، 2006م،ص128.
40. محمد نجيب أبو الليل، الصحافة الفرنسية في مصر، القاهرة، 1953م، ص 148.
41. علي مصطفي المصراتي، صحافة ليبيا في نصف قرن، بيروت، دار الكشاف، 1960م، ص256.
42. عمار جحيدر "بدايات الصحافة الليبية العدد الأول من صحيفة طرابلس الغرب"، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 112، تونس 2003م، ص630.
43. عبدالعزيز سعيد الصويعي، المطابع والمطبوعات الليبية قبل الاحتلال الإيطالي، طرابلس، المنشاة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1985م، ص45.
44. عمران أبو رويس، المحاماة في ليبيا، بنغازي، السلفيوم، 1999م، ص53.
45. عمار جحيدر، مرجع سابق، ص684.
46. عمر التومي الشيباني، "الثقافة والتعليم في ليبيا في العهد التركي"، مجلة البحوث التاريخية ، العدد الأول، طرابلس، منشورات المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، 2004 .
47. على مصطفي المصراتي، مؤرخون من ليبيا، طرابلس، 1977م، ص195.
48. شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي،ت محمد عبد الكريم الوافي، بنغازي، جامعة بنغازي، 1998م ، ص738.
49. على مصطفي المصراتي، مرجع سابق، ص201.
50. تيسير بن موسى، مرجع سابق، ص311.
51. طاهر عمران عبدالله، النزعة القومية في الشعر الليبي، رسالة ماجستير، 1974م، ص13.
52. محمد مسعود جبران، "الحياة الثقافية في مدينة طرابلس الغرب" أعمال ندوة علمية عن المؤرخ أحمد النائب الأنصاري،، طرابلس، منشورات المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، 2008م، ص189-191.
53. خليفة التليسى، مصدر سابق، ص227.

54. مقال بعنوان "فوضى أم حرية"، صحيفة الترقي.
55. محمد مسعود جبران، مرجع سابق، ص191-192.
56. عبدالعزيز الصويعي، مرجع سابق، ص73
57. مقالة بعنوان "مكاتبنا الابتدائية "، صحيفة طرابلس الغرب، العدد 463، بتاريخ 1883م.
58. عبدالرازق أحمد النصيري، "موقف صحافة طرابلس الغرب في العهد العثماني من التغلغل الاستعماري في المغرب العربي"، المؤتمر التاسع، الجمعية التاريخية الليبية، طرابلس، 2007م، ص97 .